مجلة مداد الآداب

الجامعة العراقية
كلية الآداب
قسم التاريخ
1425 هـ 2005 م
Department of History

الوجود اليهودي والصهيوني في فلسطين مراحله وآثاره

أ.د. عبد الرحمن ابراهيم حمد

&

د. كمال هادي صايل

&

د. احمد محمد علي

رئاسة ديوان الوقف السني - دائرة التخطيط والمتابعة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

في فلسطين عرف العرب قمة التحدي، وعلى ارض فلسطين سوف يتقرر المستقبل العربي، وفي فلسطين يواجه العرب قضيتهم المصيرية الكبرى، ومع ذلك فلا مفر من الإقرار بأننا كشعب وكأمة لانزال بعيدين عن تحسس خطورة هذه القضية وجوانبها المختلفة، والعيش مع هذه القضية وجوانبها المختلفة الى المدى الواجب.

وان نعيش هذه القضية يعني الى حد معين الاطلاع على تاريخها ومتابعة مراحلها ومواكبة خط تطورها لنلتقط من خلال ذلك كله الملامح الرئيسة لصورتها الشاملة.

فاستلهام الماضي، اذا ما تم على صورته الصحيحة، يشكل حافزاً من حوافز النضال وعاملا من عوامل الثبات والتقدم، فمعرفة التاريخ شرط اساسي من شروط معرفة النفس، ضرورة لابد منها لمجابهة التحديات والتغلب عليها، كذلك فإن معرفة الشعوب الثائرة لماضيها ووعيها على حاضرها يساعدها على تخطي ذاتها واحراز النصر في معاركها التاريخية.

وانه لمن الضرورة بمكان أن نبني اندفاعنا النضالي المعاصر على أساس الوعي الصحيح والحقائق الثابتة اذا ما اردنا لمسيرتنا الحالية ان تكون انطلاقة تاريخية لا مجرد هبة عابرة، خصوصاً وان تاريخ فلسطين هو تاريخ حافز لا تاريخ عبء.

فالوقائع التاريخية تثبت بما لا يقبل الشك وعي الشعب العربي الفلسطيني المبكر على اخطار الصهيونية والاستعمار، وتؤكد بشكل قاطع ان هذا الشعب قد ناضل نضالاً متواصلاً مريراً لمقاومة هذه الاخطار، وقد اتخذت المقاومة العربية الفلسطينية للصهيونية والاستعمار البريطاني اشكالاً عديدة وتبنت مختلف الاساليب والوسائل الكفاحية من الاحتجاج الى المقاطعة فالاضراب فالعصيان المدني فالثورة المسلحة.

وفي الوقت الذي نثمن فيه دور كلية الآداب – الجامعة العراقية ومؤسسة بيت الحكمة إقامة مؤتمرهما هذا، واهتمامهما بقضايا الأمة الاستراتيجية، لتزيل الركام والسبات عن قضية حيوية من قضايا الأمة، حاول المذبذبون إزاحتها عن الجانب الفكري والروحي لأبناء الأمة

بعدما كانت تحتل هرم اهتمامهم وتفكيرهم، وهي محاولة جادة لاستشراف المستقبل والسعي لتحقيق التمكين الحضاري.

ومن هنا شرعنا في كتابة بحثنا هذا الموسوم: **(الوجود اليهودي والصهيوني في فلسطين.. مراحله وآثاره)** ولقد استندنا في كتابته الى العديد من المصادر العربية والوثائق البريطانية الرسمية والوثائق الصهيونية السرية، كما اننا لم نألُ جهداً في التحقق من الاحداث والتدقيق في الوقائع التاريخية.

ومن البديهي انه ليس من الممكن تسجيل كافة الوقائع والاحداث بتاريخ فلسطين الحديث في بحث موجز نسبياً كالبحث الذي نحن بصدده، ومع ذلك فقد حاولنا قدر استطاعتنا التركيز على مجرى الاحداث الرئيسة. وقد وجدنا من المناسب أن نبدأ بحثنا بلمحة تاريخية وجغرافية عن فلسطين ثم الحديث عن تاريخ الهجرة الصهيونية الاول في عام ١٨٨١ وتوقفنا عند بداية الحرب العالمية الثانية على اثر نهاية الثورة الفلسطينية الكبرى ١٩٣٦-١٩٣٩، على ان يشمل الجزء الثاني من البحث الفترة الواقعة مابين ١٩٤٠و٢٠١٨.

إن جل ما نأمله في بحثنا هذا تسجيل تاريخ فلسطين الحديث استناداً الى المصادر التاريخية الاولية، وابراز نضال شعب فلسطين عبر اكثر من نصف قرن من الزمن، وان نكون قد رصدنا حقيقة اهداف السياسة البريطانية الاستعمارية والمخططات الصهيونية في فلسطين لا كمؤامرة ضد شعب فلسطين وحسب بل ضد وحدة الامة العربية وتقدمها ايضاً.

واعتمدنا المنهج التحليلي والوصفي في كتابة هذا البحث، وكانت خطة البحث على أربعة مباحث:

- **المبحث الاول: (لمحة جغرافية و تاريخية عن فلسطين).**
- **المبحث الثاني: فلسطين في ظل الحكم العربي الاسلامي.**
- **المبحث الثالث: الوجود اليهودي في فلسطين.**

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مملكة اليهود في فلسطين.

المطلب الثاني: نهاية صلة اليهود بفلسطين.

- **المبحث الرابع: اليهود ومراحل نشأت الحركة الصهيونية.**

ثم خاتمة وقائمة المصادر والمراجع، ومن الله نستمد العون والتوفيق.

المبحث الاول

لمحة جغرافية وتاريخية عن فلسطين

تعد فلسطين[١] قلب الوطن العربي وواسطة عقده وقبلة انظاره ومهد الديانات التوحيدية الكبرى في التاريخ وملتقى الحضارات. وهي بلاد خيرة جميلة ومن اهم بقاع الارض قاطبة من النواحي الاستراتيجية والسياحية والدينية.

تقع فلسطين في الغرب من قارة اسيا بين خطي عرض(٣٠ر٢٩) و(١٥ر٣٣) وبين خطي طول(١٥ر٣٤) و(٤ر٣٥) شرقي غرينتش، وتتوسط مفارق الطرق بين اسيا وافريقيا واوربا وتصل ما بين البحر الابيض المتوسط (الموصول بالمحيط الاطلسي) والبحر الاحمر وجزء من المحيط الهندي. يحدها من الغرب البحر الابيض المتوسط ومن الشرق سوريا والاردن ومن الشمال لبنان وسوريا ومن الجنوب شبه جزيرة سيناء (جمهورية مصر العربية) وخليج العقبة.

تبلغ مساحة فلسطين حوالي ٢٧٠٠٩ كيلو متر مربع (١٠٤٢٩ ميلا مربعاً) وهي مستطيلة الشكل يبلغ طولها من الشمال الى الجنوب نحو ٤٣٠ كم. واما عرضها فيتراوح في الشمال بين ٥١ كم و٧٠ وفي الوسط يتراوح العرض بين ٧٢ كم و٩٥ بينما يتسع في الجنوب حتى يصل الى نحو ١١٧ كم.

تنقسم فلسطين من الوجهة الطبيعية الى الاقسام التالية:

١- المنطقة الساحلية التي تشمل السهل الساحلي الفلسطيني الممتد من راس الناقورة الى رفح، ويكاد الساحل الفلسطيني يكون مستقيماً ليس فيه موانئ طبيعية صالحة لرسو السفن وخصوصاً ابان العواصف والانواء. اما اهم المدن والموانئ الواقعة في المنطقة الساحلية فهي غزة ويافا وعكا. ويعد الساحل الفلسطيني الجسر الذي يصل اسيا بافريقيا واشهر الممرات الحربية في التاريخ كما ان اشجاره تنتج اشهر انواع البرتقال في العالم[٢].

٢- المنطقة الجبلية التي تمتد في وسط البلاد كعامود فقرى وتشغل ثلثي عرض فلسطين وتضم جبال الجليل وجبال نابلس وجبال القدس. وفي هذه المنطقة تقع معظم الاماكن

المقدسة لدى المسلمين والمسيحيين واليهود: القدس والخليل وبيت لحم والناصرة ونابلس وصفد.

٣- منطقة الغور التي تقع شرقي فلسطين ويخترقها نهر الاردن مع بحيراته. وهذه المنطقة قسم من الانخفاض العظيم الذي يبدا من جبال طوروس في اسيا الصغرى ويستمر جنوباً ماراً بسوريا والبحر الميت وخليج العقبة لينتهي في بحيرة فكتوريا باواسط افريقيا. والغور نسيج وحده في العالم من حيث ان انخفاضه عن سطح البحر يتدرج ليصل ٣٩٢ متراً عند شاطئ البحر وهو اشد انخفاض ارضي في العالم كله. وتعد اريحا وبيسان اشهر مدن الغور.

٤- منطقة بئر السبع والصحراء الفلسطينية. وهي تحتل نصف مساحة فلسطين وتشكل القسم الجنوبي من فلسطين وتشكل القسم الجنوبي من فلسطين وتشبه مثلثاً يقع راسه عند خليج العقبة شاملاً الاراضي الواقعة بين مدينتي غزة والخليل وبين شبه جزيرة سيناء وشرقي الاردن وجنوبي البحر الميت. وتعد مدينة بئر السبع التي يسكنها البدو الرحل وشبه الرحل، ممراً تجارياً هاماً في العالم المتمدن القديم كما كانت مهد انطلاقة النبي ابراهيم ومسقط راس ابنه البكر اسماعيل جد العرب العدنانية[٣].

يشهد تاريخ فلسطين ان وضعها الجغرافي وصلتها الحميمة بالاراضي المجاورة حددا على مر الزمن تطورها ومصيرها. لقد كان مصير فلسطين دوماً مرتبطاً باوضاع الجزيرة العربية ومصر وسوريا والعراق. ففي اواخر الالف الرابع واوائل الالف الثالث قبل الميلاد تعرضت فلسطين لموجة عربية سامية كبيرة هي الموجة المعروفة باسم الاموروية الكنعانية فنزل الاموريون داخل بلاد الشام وجنوبها الشرقي، واستوطن الكنعانيون[٤] ساحل فلسطين وجنوبها الغربي.

ويرجح ان الكنعانيين كانوا في بادئ الامر يقطنون سواحل الخليج العربي الغربية قبل نزوحهم الى الساحل السوري (شواطئ سوريا وفلسطين ولبنان). ونسبة لهؤلاء سميت فلسطين ارض كنعان، وكان اقدم اسم سميت به البلاد. وبقيت للكنعانيين السيادة ما يقرب من الف وخمسمائة سنة أي من ٢٥٠٠ق.م. الى نحو ١٠٠٠ق.م. حين تمكن اليهود من اعلان مملكتهم. وفي هذه الفترة توطنت عدة قبائل عربية اخرى اشتهرت بالتجارة. [٥]

وحدث اثناء فترة سيطرة الكنعانيين نحو عام ١٨٠٥ق.م. ان هاجر النبي ابراهيم عليه السلام (الذي يرجح انه "اموري" من العرب الذين اسسوا الدولة البابلية في العراق) الى بلاد الشام واستقر بعد فترة في شكيم (نابلس) في فلسطين. ثم ما لبث ان انتقل الى بئر السبع. وفي نحو عام ١٧٩٤ق.م. رزق ابراهيم بولده اسماعيل عليهما السلام جد العرب العدنانية وهو الذي وصل بين فلسطين وبين النبي العربي محمد صلى الله عليه وسلم (الذي ينتسب للعدنانية) والمسلمين اذ قام مع ابيه ببناء الكعبة المشرفة. وبعد مولد اسماعيل عليه السلام بنحو اربع عشرة سنة رزق ابراهيم عليه السلام من زوجته الاولى ساره بولده الثاني اسحق والد يعقوب الذي لقب باسرائيل والذي اطلق اسمه على جميع ذرية يعقوب عليه السلام. واولاده الذين بلغ عددهم بضع عشرات الى مصر نحو عام ١٦٥٦ق.م. بسبب القحط الذي نزل بفلسطين. وهناك استبعدهم فراعنة مصر فاضطروا الى النزوح عن مصر بقيادة النبي موسى عليه السلام بعد اقامة دامت حوالي اربعمائة سنة. اما قصة نهجهم الحربي في فتح فلسطين على يد يوشع فمدونة في اسفار العهد القديم: " صعد الشعب الى المدينة- اريحا- واهلكوا كل من في المدينة من رجل وامراة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف "[٦].

المبحث الثاني

فلسطين في ظل الحكم العربي الاسلامي

كان ظهور الدعوة الاسلامية وتحقيق وحدة القبائل العربية في الجزيرة العربية على يد الرسول العربي محمد بن عبدالله القرشي صلى الله عليه وسلم ايذاناً بانهيار جيوش الرومان وحصونهم في جميع المناطق المجاورة للجزيرة العربية. وفي عام ٦٣٦م. رفع علم العرب المسلمين على بيت المقدس (القدس) وخرج اهلها يستقبلون الفتح الاسلامي مرحبين بخليفة المسلمين عمر بن الخطاب وبالروح السامية والقيم العالية التي حملها الفاتحون العرب بهدى من رسالتهم الاسلامية والتوحيدية. ذلك ان العرب المسلمين، على نقيض غيرهم من الفاتحين، حرصوا على حقن الدماء وحماية الصغير والكبير وحفظ كرامة الاقوام وحقوقها. وكانت روح التسامح الاسلامي سبب طلب البطريرك صفرونيوس ممثل المسيحية في فلسطين من الخليفة عمر ان يستمر منع اليهود من سكن القدس. واستجابة لطلب صفرونيوس اعطى الخليفة عمر العهد التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما اعطى عبدالله عمر امير المؤمنين اهل ايلياء (القدس) من الامان. اعطاهم اماناً لانفسهم واموالهم وكنائسهم وصلبانها، سقيمها وبريئها وسائر ملتها انه لاتسكن كنائسهم ولاتهدم ولا ينقص منها ولا من شيء من اموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار احد منهم، ولا يسكن ايلياء معهم احد من اليهود.

وعلى اهل ايلياء ان يعطوا الجزية كما يعطي اهل المدائن، وعليهم ان يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فهو امن على نفسه وماله، حتى يبلغوا مامنهم، ومن اقام منهم (فهو) امن، وعليه مثل ما على اهل ايلياء من الجزية، ومن احب من اهل ايلياء بنفسه وماله مع الروم، ويخلي بيعهم وصلبهم، فانهم امنون على انفسهم وعلى صلبهم حتى يبلغوا مامنهم.

ومن كان فيها (ايلياء) من اهل الارض فمن شاء منهم قعد، وعليه مثل ما على اهل ايلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن رجع الى اهله فانه لايؤخذ منهم شيء يحصدوا احصادهم.

وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا اعطوا الذي عليهم من الجزية.

كتب وحضر سنة خمسة عشر (هجرية) وشهد على ذلك خالد بن الوليد، عبد الرحمن بن عوف، عمرو بن العاص، معاوية بن ابي سفيان(٧).

وبعد اعطاء هذا العهد القى الخليفة عمر خطبته المشهورة في جموع المسلمين الفاتحين في القدس واذن على اثرها بلال مؤذن الرسول اول اذانه بعد وفاة الرسول الكريم وسمع الصحابة صوته فتذكروا صاحب الرسالة الاسلامية وقائدها فبكوا.

وتعد القدس من اقدس بقاع الارض عند المسلمين فإليها اسرى بالرسول العربي من المسجد الحرام (مكة) الى المسجد الاقصى (القدس) الذي بورك حوله ثم عرج منه الى السماوات العلى. وفي ليلة الاسراء فرضت على النبي محمد الصلوات الخمس اليومية اول اركان الاسلام. وشيد الخليفة عمر مسجداً بالقرب من الصخرة المقدسة التي صعد منها النبي ليلة الاسراء مالبث ان تطور ايام الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان (٦٩٠م) الى اية من ايات الفن المعماري

واصبح محجة للمسلمين. ووارى ثرى فلسطين الوفاً من صحابة الرسول وتابعيهم اشهرهم ابو عبيدة قائد الجيوش الاسلامية التي فتحت فلسطين. وعلاوة على ذكرها في القران الكريم فهناك الكثير من احاديث الرسول الكريم التي تدور حولها. كذلك فان الاماكن المسيحية والاسلامية المقدسة في فلسطين عند المسلمين اكثر من ان تعد وتحصى، ناهيك بمئات المساجد والمزارات والزوايا المنتشرة في طول البلاد وعرضها والتي تعد ذات منزلة خاصة عند مختلف الطوائف الاسلامية.

وفي ظل الاسلام شهدت فلسطين الانتعاش والازدهار فكثرت فيها المعاهد العلمية والدينية وانجبت العديد من العلماء والمفكرين ورجال الفقه والقضاة والقادة العظام نذكر منهم القائد العربي العظيم موسى بن نصير فاتح الاندلس وسيد الانشاء عبد الحميد الكاتب وزير الخليفة الاموي مروان بن محمد والعالم الكيميائي العربي خالد بن يزيد الاموي والملك شرف الدين الايوبي المجاهد ضد جيوش الصليبيين، والمقدسي صاحب "فضائل بيت المقدس"، والامام الشافعي صاحب المذهب المعروف.

اما بالنسبة للمسيحيين العرب ففلسطين هي كعبتهم وقبلتهم ففيها ولد المسيح وفيها عاش طول حياته ومنها انطلقت الديانة المسيحية. ولا شك بان روابط المسيحيين الشرقيين بالقدس وبكنائس فلسطين له اعمق الاثر في تعلقهم بالارض المقدسة وفي تعاطفهم مع الامة العربية وحقها التاريخي في تقرير مصيرها وسيادتها على الوطن العربي باسره.

وتميزت معاملة العرب والمسلمين لليهود بالتسامح فقد نظر الاسلام نظرة احترام للدين اليهودي واعتبر انبياء اليهودية من رسل الله فورد ذكرهم عشرات المرات في القران وامر بمعاملتهم بالعدل والحسنى. وكان من جراء هذه النظرة المتسامحة ان ازدهرت احوال اليهود في ظل الحكم العربي الاسلامي فبرز منهم العلماء والكتاب والمترجمون والموسيقيون والماليون كما كانت الديار الاسلامية ملجأ اليهود الامين يقصدونه كلما اشتدت وطاة اضطهاد اوروبا لهم ولا سيما في اواخر القرن الخامس عشر والسادس عشر عندما لجأ يهود اسبانيا وغيرها هرباً من محاكم التفتيش الى المغرب العربي حيث قوبلوا بالتسامح ولاقوا المعاملة الانسانية الكريمة [٨].

المبحث الثالث

الوجود اليهودي في فلسطين.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول

مملكة اليهود في فلسطين.

على الرغم من الفظائع التي ارتكبها والانتصارات التي احرزها يوشع فان سيطرته على فلسطين لم تكن كاملة اذ بقيت الكثير من المدن الكنعانية خارج سيطرة اليهود كما ان استيطان الفلسطينيين وهم اول من نزل ارض كنعان من سكان اوروبا (كريت) في غزة وجوارها وامتداد استعمارهم حتى الكرمل اخذ يهدد وجود القبائل اليهودية المتناثرة مما دفع هؤلاء الى جمع كلمتهم في وحدة مؤقتة ونصبوا شاول بن قيس ملكاً عليهم نحو عام ١٠٢٠ق.م. وقتل شاول بعد ستة عشر عاماً من توليه الملك على يد الفلسطينيين في احدى معاركه معهم. وتولى الملك من بعده داود بن يسي فادخل المركبات الحربية في الجيش وحارب الفلسطينيين وانتصر عليهم وعلى غيرهم من الاقوام التي كانت تقطن فلسطين وشرق الاردن وبطش بهم. وفي مطلع حكم داود كانت الخليل عاصمة ملكه لكنه انتقل الى القدس اثر فتحه لها وجعل "جبل صهيون" مقراً لحكمه وبنى عليه قلعة وقصراً من خشب الارز اللبناني(٩).

وفي عهد داود بلغت المملكة اليهودية اقصى اتساعها فامتدت من جبل الكرمل وتل القاضي الى جبل الشيخ شمالاً والى حدود مصر ونهر الموجب جنوباً والى الصحراء شرقاً ولكن الساحل الفلسطيني الممتد من شمالي يافا الى جنوب غزة كان تابعاً لمصر وبالتالي فان عموم فلسطين لم تقع تحت حكم اليهود حتى في ذروة فتوحاتهم. وخلف داود ابنه سليمان عليهما السلام، الملقب بالحكيم، الذي تميز عهده بالازدهار التجاري والعمراني وشيد المعبد المعروف بهيكل سليمان وذلك بمساعدة الفينيقيين الا انه لم يتمكن من المحافظة على جميع اجزاء المملكة التي ورثها عن ابيه. ففي اواخر عهده ادى التذمر من الضرائب المرهقة الى انقسام اليهود فكان ذلك ايذاناً بافول عزهم الذي لم يدم اكثر من سبعين سنة.

انقسمت مملكة سليمان الى قسمين مملكة اسرائيل في الشمال ومملكة يهوذا في الجنوب. وقد نشبت بينهما حروب ونزاعات كثيرة ولا سيما في ما يتعلق بالشؤون الدينية. وعاشت

المملكة الاسرائيلية نحو قرنين (٩٢٣- ٧٢٢ق.م.) وكان القسم الاكبر من اهالي المملكة وملوكها يعبدون الاوثان. وكانت نهاية اسرائيل على يد الاشوريين الذين سبوا نخبة اهلها الى بلادهم في العراق(١٠).

اما المملكة اليهودية فقد اشتملت على القسم الجنوبي من فلسطين وكانت افقر من اختها في الشمال ودامت نحو ١٣٦ سنة بعد خراب المملكة الشمالية. وكانت المملكتان خاضعتين في معظم فترات حياتهما لنفوذ الدول القوية المجاورة في العراق ومصر، وكانت نهايتها على يد بختنصر الكلداني الذي فتح القدس واحرق الهيكل وبيت الملك عام ٥٨٦ق.م. وسبى زهاء ٥٠ الف اسير نقلهم الى بابل.

ويذهب المؤرخون الى ان اليهود كانوا ادنى حضارة ورقياً من الكنعانيين وانهم اقتبسوا من هؤلاء الكثير من حضارتهم وثقافتهم وادابهم وطقوسهم وان ماشيد في عهد اليهود من قصور وهياكل انما تم بمساعدة الفينيقيين.

مكث اليهود في بابل (العراق) نحو سبعين سنة وهي فترة تعرف بالسبي البابلي تغير خلالها لسانهم وتنوعت ادابهم، فلما استولى كورش ملك الفرس على بابل عام ٥٣٩ق.م. ومن ثم على بلاد الشام امر بارجاع اليهود الذين ساعدوه حين فتح بابل ولكن قسماً من هؤلاء اثروا البقاء في بابل حيث كانوا يتعاطون التجارة. وقد تمكن الذين عادوا الى القدس من ان يعيدوا في عام ٥١٦ق.م. بناء هيكلهم الذي تهدم عام ٥٨٦ق.م. كما تمكنوا من وضع مجموعة قوانين دينية عرفت بالديانة اليهودية وجعلوا رئيس كهنتهم زعيماً لهم(١١).

امتد عهد الفرس في فلسطين من ٥٣٨ الى ٣٣٢ق.م. وكانت نهايته على يد الاسكندر المقدوني الذي نشر قواده الذين تولوا الحكم بعد موته الثقافة اليونانية بين اليهود وفرضوا عليهم ادابهم وحضارتهم فانقسم اليهود الى قسمين: قسم اقتدى باليونان وحضارتهم الراقية واخر تعصب لعقائده الدينية وتشبث باساليب الحياة اليهودية التقليدية. وكان من نتائج هذا التشديد على اليهود قيام ثورة بقيادة العائلة المكابية عام ١٦٧ق.م. ويعزو ارنولد توينبي نجاح الثورة المكابية الى تاخير اجتياح الجحافل الرومانية للمنطقة على اثر ضعف الدولة السلوقية لا الى قوة المكابين الذاتية.

وسرعان ماتحول المكابيون من ثورة على الاضطهاد ومقاومة لفرض الحضارة الهلينية (اليونانية) على اليهود الى قوة اضطهدت الشعوب التي كانت تعيش في فلسطين وشرقي الاردن ابشع اضطهاد وفرضت الدين اليهودي عليها قسراً في الفترة الواقعة ما بين ١٠٢-٧٦ق.م. ويشير توينبي الى انه من سخرية القدر ان شعب الجليل الذي تهود بالقوة يسوع المسيح الذي عارضه زعماء اليهود في ذلك العصر مما اضاع على اليهودية مستقبلها [١٢].

ومن الخطأ الاعتقاد ان سيطرة المكابيين على المنطقة المشار اليها كان مطلقاً فقد كانوا موضع تحدي العرب الانباط[١٣] الذين بسطوا سيطرتهم على جنوبي فلسطين عندما امتدت مملكتهم في اوج مجدها من سهل البقاع شمالاً حتى مدائن صالح (شمالي الحجاز) جنوباً. وقد نشبت بين المكابيين والانباط معارك عديدة كان النصر في معظمها للانباط[١٤].

جاءت نهاية الانباط على يد الرومانيين الذين بسطوا سيطرتهم على البلاد وعينوا " هيرودس بن انتيباتر" الادومي (وامه عربية من الانباط) ملكاً على اليهود عام ٣٧ق.م. وكان على صلة حميمة بالامبراطور اغسطس. وعلى الرغم من تهوده واعادة بنائه للهيكل فقد كرهه اليهود لانه لم يكن من جنسهم ولانه نشر الحضارة الرومانية واليونانية التي كانوا يكرهونها فحقد عليهم.

وفي اخر سنة حكم هيرودس (٤ق.م.) ولد السيد المسيح في بلدة بيت لحم ونشأ في الناصرة وعاش المسيح طول حياته في فلسطين، وفيها نشر تعاليمه. وكان اكثر تلاميذه وحواريه من الجليل. والمعروف ان الدعوة النصرانية لقيت مقاومة شديدة من اليهود كما لقيت المسيحية الاضطهاد الشديد من الرومان حتى مطلع القرن الرابع الميلادي حين تنصر الامبراطور قسطنطين وشيد عدة كنائس في فلسطين اشهرها كنيسة القيامة وكنيسة المهد في بيت لحم.

المطلب الثاني

نهاية صلة اليهود بفلسطين

على الرغم من المعاملة المميزة التي منحها الرومان لليهود كاعفائهم من عبادة الامبراطور وخدمة الجيش وبقاء احكامهم الدينية في يد محاكمهم الخاصة،[١٥] فقد استمر الاحتكاك بين الطرفين مما ادى في النتيجة الى ثورة اليهود عام ٦٦م، وتم سحقها عام ٧٠م.

على يد طليطوس الروماني بمساعدة الفرق العربية والسورية والارامية الموضوعة تحت قيادته. ولكن اليهود ثاروا مرة اخرى بقيادة سمعان المدعو ايضاً بركوكب والذي ادعى انه المسيح المنتظر. وتم القضاء على هذه الثورة على يد هدريان الذي نكل باليهود اشد تنكيل ومنعهم من دخول القدس والسكن فيها بل الدنو منها. والجدير بالذكر ان ثلاثة ارباع اليهود كانوا يسكنون خارج فلسطين قبل سقوط القدس بمدة طويلة " ولم يكن لجماهير اليهود المبعثرين في الامبراطورية الاغريقية ثم في الامبراطورية الرومانية الا اهتمام ثانوي جداً بالمملكة اليهودية في فلسطين "[١٦]. وبثورة بركوكب انتهت صلة اليهود بفلسطين حتى القرن التاسع عشر وازداد تشتتهم في مختلف اقطار العالم في اوروبا واسيا وافريقيا[١٧].

وهكذا نجد ان اليهود لم يدخلوا الى فلسطين الا في حقبة متاخرة من الزمن ولم يحكموا البلاد الا مدة قصيرة نسبياً، ناهيك بانهم لم يحكموا سوى اجزاء من فلسطين حتى في ذروة عزهم. ولقد تميزوا بالتعصب الشديد واستعداء الشعوب الاخرى التي كانت تقطن المنطقة. كذلك يلاحظ انهم توزعوا في البحر الابيض المتوسط في وقت مبكر سعياً وراء التجارة والرزق ولم يعد يربطهم بفلسطين سوى الحنين الى جبل صهيون أي القدس. ومن هنا لخص ه.ج. ولز في كتابه " موجز التاريخ " تاريخ اليهود (العبرانيين) بما يلي:

"كانت حياة العبرانيين (في فلسطين) تشبه حالة رجل يصر على الاقامة وسط طريق مزدحم فتدوسه الحافلات والشاحنات باستمرار... ومن البدء حتى النهاية لم تكن مملكتهم سوى حادث في تاريخ مصر وسوريا واشور وفينيقيا ذلك التاريخ الذي هو اكبر واعظم من تاريخهم"[١٨].

المبحث الرابع

اليهود ومراحل نشأت الحركة الصهيونية

نتناول في هذا المبحث نشأت الحركة الصهيونية، وبيان الفرق بين اليهود والصهيونية، وسياسة التذويب التي اتبعت تجاه الشعب الفلسطيني، وعبر المحاور الآتية:

أولا: اليهودية ليست عرقا.

من الخطأ النظر الى اليهود على انهم عرق او جنس حتى قبل سقوط القدس. لقد راينا كيف هودوا سكان الجليل بالقوة كما انهم طردوا من روما عام ١٣٩م.ق. لتهويدهم بعض

السكان. وتابع اليهود عملية التهويد في العصور اللاحقة " وقد ساهمت عملية تهويد العبيد القسرية، واعتناق الخزر وشعوب اخرى هذا الدين[١٩] خلال التشتت الطويل" في جعل اليهود خليطاً عرقياً متنافراً. ولم يكن ما اكتسبوه من خصائص مميزة كمجموعة انسانية الا بفعل الظروف الاجتماعية والوظيفة الاقتصادية لليهود عبر القرون. لقد ضاعت الوحدة العنصرية لليهود رغم الطابع التقوقعي والقبلي للديانة اليهودية كما فقدوا اللغة المشتركة (العبرية) فاخذوا يتكلمون لغات ولهجات مختلفة حسب الموقع الجغرافي الذي يقطنونه. وتدل الدراسات الموضوعية العلمية المحضة[٢٠] على صحة ما ذهبنا اليه من ان اليهود الحاليين عنصراً متجانساً وبالتالي فان الحنين الصهيوني الى فلسطين وحق اليهود في "العودة" الى صهيون (القدس) انما هو خرافة ووهم فضلا عن ان عرب فلسطين هم السكان الشرعيون للبلاد منذ اقدم الازمان، قبل ظهور اليهود فيها وبعد رحيلهم عنها.

ذلك ان صلة العرب بفلسطين لم تنقطع[٢١] منذ ان كانت تعرف بارض كنعان أي قبل اربعة الاف سنة ونيف. وقد تقوت هذه العلاقة بقيام دول الانباط وتدمر والغساسنة وجميعهم من العرب الذين فرضوا قدراً من السيطرة السياسية العربية على فلسطين في فترات متقطعة قبل الفتح الاسلامي.

ثانيا: اللاسامية (كراهية اليهود).

تعود جذور اللاسامية (كراهية اليهود) في الغرب الى " غرابة" اليهود وتميزهم عن الشعوب الاوروبية من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. إذ يقول الكاتب والمنظم الصهيوني الشهير للاستعمار الزراعي الصهيوني في فلسطين ارثر روبين: "ان تعاطي اليهود للتجارة والربا وتجمعهم في المدن، حملهم على تكوين مجموعات متميزة والحياة حياة اجتماعية منفصلة لايتزاوجون الا فيما بينهم"[٢٢] ويقول ابراهام ليون: "حينما يتوقف اليهود عن تشكيل طبقة خاصة، تختفي بشكل أو بآخر خصائصهم العرقية والدينية واللغوية ويندمجون"[٢٣] ففي عهد الامبراطورية الرومانية كانت الطبقات الرومانية الحاكمة التي حافظت في المدينة والريف على تقليد فلاحي عميق الجذور تنظر الى التجارة، حرفة اليهود الاساسية، نظرة ازدراء. ولم يات انتصار المسيحية بتبدلات اساسية في هذا الصدد اذ رافق انتشار المسيحية امتداد الاقتصاد

الاقطاعي، وكان بعض القديسين المسيحيين يحتقرون اليهود ويزدرون احترافهم التجارة ويعتقدون بان مصيرهم الاكيد هو الهلاك الابدي.

بيد ان المسيحية لم تطالب بافناء اليهود فظلت احوالهم كتجار وصلة وصل بين الشرق والغرب في ازدهار حتى القرن الثاني عشر. ففي هذا القرن واثر الحملات الصليبية نمت المدن الاوربية ونشات طبقة تجارية محلية اخذت تزاحم اليهود وتضطهدهم. وحيث كان اليهود يمارسون اعمال الربا الصغيرة أي اقراض واستغلال الجماهير الفقيرة من فلاحين وحرفيين كانوا يتعرضون لانتفاضات دموية.

وما ان فقد اليهود مكانتهم المالية في اوروبا الغربية كصيارفة النبلاء والحكام نتيجة التطور الاقتصادي ونشوء المصارف المسيحية ونتيجة نشوء الاقتصادي التبادلي (الراسمالي) في الريف حتى ولت مرحلة ازدهارهم فانتقلوا الى المدن حيث اقاموا في احياء خاصة بهم ما لبثت ان حددت فيها اقامتهم وعرفت هذه الاحياء بالغيتو وصاروا يعاملون بقسوة في بعض المدن الاوربية ويجبرون على دفع الرسوم للمرور في المدن والعبور فوق الجسور. بيد ان بعض الملوك والحكام استمروا في حماية اليهود لمبررات اقتصادية اذ كانوا مصدر واردات هامة للملوك ولاسيما بالنسبة لتمويل الحروب التي شنها الملوك الاسبان ضد المسلمين العرب في الاندلس وضد النبلاء الاسبان فيما بعد. فالملوك يسمحون لليهود باستغلال الشعب عن طريق الربا الفاحش (بين ١٠٨ بالمائة و١٨٠) ثم يعمدون بدورهم الى فرض الضرائب العالية عليهم ويلجأون الى مصادرة اموالهم بعد ان يكون اليهود قد اكتسبوا عداء الشعب نتيجة استغلالهم المباشر له. وكانت مصلحة هؤلاء الملوك والحكام تتعارض مع تحول اليهود الى المسيحية اذ ان تخليهم عن يهوديتهم يعني عملياً تخليهم عن مهنتهم في التجارة والربا وبالتالي عن مصدر دخل هام للملوك والحكام.

وقد ادت سلسلة من الاحداث والتطورات التي جرت في بعض الاقطار الى الحد من الربا اليهودي والى حرمان اليهود من حقهم في وراثة الاراضي وحرمانهم من الوصول الى وظائف الدولة.

وادى نشوء الراسمالية الصناعية في اوروبا الغربية الى انهيار وظيفة اليهود الاقتصادية والاجتماعية مما اضطرهم لمغادرة بعض البلاد والى طردهم من مدن اوروبا الغربية فنزحوا

الى اوروبا الشرقية حيث استمروا في لعب دور التاجر والمرابي والخمار ووكيل الاقطاعي في استغلال الفلاح مباشرة الى ان برز في القرن التاسع عشر فجر الراسمالية الصناعية في روسيا وبولندا فاهتز وضع اليهود اهتزازاً تاماً. وفي الوقت الذي اخذت فيه المشكلة اليهودية في الغرب تتجه نحو الحل ظهرت تلك المشكلة بعنف في شرق اوروبا مما اعاد اشتعالها في سائر اوروبا اثر تدفق سيل الهجرة اليهودية الى الغرب. واسهمت ازمة الراسمالية ونمو الروح القومية الشوفينية (المتعصبة) نتيجة تفشي البطالة في تغذية اللاسامية وتوجيه النقمة نحو اليهود (الغرباء). وفي ظل اشتداد وطاة اضطهاد اليهود اثر المجازر الروسية عام ١٨٨٢ وفي ضوء رغبة المتمولين اليهود الغربيين في توجيه هجرة يهود اوروبا الشرقية الى خارج اوروبا نشات الحركة الصهيونية وحددت هدفها في ايجاد دولة يهودية خارج اوروبا.

بيد انه على الرغم من اهمية العوامل السابقة الذكر فانها لاتكفي لتفسير الظاهرة الصهيونية اذ ماكانت الصهيونية لتصبح حركة جديدة وخطيرة لولا رغبة الدول الصناعية في السيطرة على مقدرات الشعوب المتخلفة باعتبار اقطار هذه الشعوب مصادر للخدمات الصناعية واسواقاً لاستهلاك المنتوجات الصناعية ومراكز جغرافية استراتيجية ضرورية لتامين مواصلات الدول الصناعية من تجارية وعسكرية[٢٤].

ثالثا: اطماع الغرب بفلسطين.

ان اطماع الدول الغربية بفلسطين قديمة العهد نظراً لما يمثله موقع فلسطين الجغرافي من اهمية اقتصادية وعسكرية ودينية. وتشهد الغزوات الصليبية على مدى قوة هذه الاطماع ومداها، كما تشهد هذه الغزوات على وحدة المصير العربي امام التحديات التاريخية الكبرى وخطورة الاحتلال الاجنبي لفلسطين على الوجود الحضاري للعرب.

ولقد استعاد الغرب اهتمامه بالمنطقة العربية في اعقاب احتلال بريطانيا للهند في القرن السابع عشر كما ايقظت حملة نابوليون على مصر وفلسطين في اواخر القرن الثامن عشر اطماع بريطانيا ورغبتها في السيطرة على المنطقة بشكل اكثر مباشرة نظراً لما انطوت عليه حملة نابوليون من تهديد خطير لمصالح بريطانيا في الهند.

والواقع ان اهتمام بريطانيا بفلسطين والمنطقة العربية لم يقتصر على تامين الطريق التجاري للهند وبالتالي المواصلات البحرية العسكرية لحماية هذا الطريق. كانت بريطانيا تريد

ان تحتفظ بالمنطقة لحساب نفوذها وذلك عن طريق سيطرة اسطولها غير منازع عليها وعن طريق الحفاظ على الامبراطورية العثمانية كحاجز في وجه اطماع الدول الاوروبية الاخرى. وكان ذلك يعني ان بريطانيا تعارض قيام اية قوة حقيقية محلية في المنطقة ايضاً. ومن هنا نظرت الى بروز محمد علي الكبير في مصر بقلق بالغ مالبث ان تحول الى تدخل عسكري عندما هزمت جيوش محمد علي (بقيادة ابنه ابراهيم باشا) الجيوش العثمانية ووحدت مصر وسوريا الطبيعية مهددة بذلك استانبول عاصمة الدولة العثمانية ومصالح الدول الغربية في المنطقة.

اثار تقدم جيوش محمد علي في المشرق العربي ما عرف "بالمسالة الشرقية " واستتبع ذلك اقدام بريطانيا على الالتزام بسياسة ثابتة هدفها الحفاظ على المصالح التجارية البريطانية في المنطقة تحت ستار حماية الاقليات الدينية((٢٥)). وذلك عن طريق الحيلولة دون قيام دولة موحدة في مصر وسوريا تهدد نفوذ ومصالح الدول الاجنبية.

رابعا: نشوء الحركة الصهيونية.

الصهيونية في اساسها حركة لادينية، فهي حركة سياسية استعمارية قائمة على اسس عنصرية رجعية متطرفة قامت كرد سياسي على نزعة معاداة السامية، وقد تلخص الرد على قيام دولة صهيونية، واعطاء اليهودية صفة القومية، فهي حركة سياسية غير دينية نشأت في شرق اوربا، وحظيت بتأييد يهود العالم، عمدت الى استخدام فكرة العودة.. ومن هنا خلط الناس بين الصهيونية واليهودية(٢٦). وكانت هذه الحركة في البدء مستعدة لاقامة الدولة الصهيونية في أي مكان اخر ممكن من العالم غير فلسطين، مما يؤكد انها كانت منصرفة في الدرجة الاولى الى اسباغ صفة القومية السياسية على العنصر اليهودي، وان فكرة العودة الدينية الى فلسطين لم تظهر الا فيما بعد كورقة رابحة لاغير(٢٧). والحركة الصهيونية من مواليد القرن التاسع عشر فقد بدا لبعض الوقت ان حركة التحرر والمساواة التي بدأت تغزو اوربا سوف تحل مشاكل اليهود، ولكن اعترض ذلك عقبتان: الاولى من اليهود انفسهم الذين كرهوا ما يحمله هذا التحرر من احتمال تذويبهم في الآخرين، مما دعى ناحوم جولدمان ان يقول: ان اقامة دولة يهودية هدفه حفظ الشعب اليهودي من خطر التحرر والذوبان. اما العقبة الثانية فكانت من اوربا نفسها، فحين بدأ التسامح الديني يسود أخذ التعصب القومي يتخذ مظهرا عنيفا، مما جعل عملية تقبل ذوبان

اليهود في القوميات البارزة امرا صعبا. وجاء حادث اغتيال القيصر اسكندر الثاني في روسيا سنة ١٨٨١ فقد ارادت السلطات الروسية انذاك ان تلقي مسؤولية الحادث على اليهود مما ادى الى هرب الكثير منهم الى غرب اوربا وامريكا ولكن ثلاثة الاف من المهاجرين اليهود ذهبوا في تلك السنة الى فلسطين، وفي سنة ١٨٨٢ أقاموا مستعمرة ريشون كازيون بالقرب من يافا [٢٨]. وفي نفس تلك السنة ظهرت في روسيا لاول مرة حركة عرفت باسم حركة حب صهيون تهدف الى احياء اللغة العبرية والهجرة الى فلسطين، الا ان الباب العالي العثماني اصدر فرمانا سنة ١٨٨٨ يقضي بمنع أي هجرة جماعية يهودية الى الاراضي العثمانية ولايسمح للحجاج اليهود بقضاء اكثر من ثلاثة اشهر في فلسطين [٢٩].

بيد ان الفكرة الصهيونية السياسية لم تاخذ في شق طريقها الا بعد ان فشلت الافكار الليبرالية التي نادت بها الثورة الفرنسية في فرض مبادئ الاخاء والمساواة على المجتمعات الاوربية. فعلى الرغم من النجاح الهائل الذي احرزته عائلة روتشيلد في عالم المال وعلى الرغم من زعامة ديزرائيلي (يهودي تنصر ولكنه ظل يفتخر بيهوديته) في عالم السياسة البريطانية وقيادة لاسال للحركة الاشتراكية الالمانية، عجزت الحركة الاندماجية اليهودية أي حركة التنور عن تحقيق غاياتها في القضاء على تميز اليهود عن غيرهم في المجتمعات التي يعيشون فيها وبالتالي القضاء على محاولات اضطهادهم على يد اللاساميين. وهكذا جاءت الفكرة الصهيونية كتعبير عن فقدان الامل بقيام مجتمعات اوروبية تحررية عادلة قادرة على استيعاب اليهود اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً وكاستجابة لرغبة الدول الاستعمارية الكبرى في استخدام الجاليات اليهودية لاغراض استعمار الشعوب المتخلفة. وقد لاقى ذلك تشجيعاً من قبل كبار الراسماليين اليهود الذين كانوا يرغبون بتحويل سيل الهجرة اليهودية من اوروبا الشرقية الى خارج اوروبا لتجنب نتائج منافسة اليهود الوافدين للبورجوازية الصغيرة في اوروبا الغربية وعواقب البطالة في اثارة النعرات اللاسامية عند الطبقات الشعبية.

وفي مطلع ستينات القرن التاسع عشر اخذ بعض المفكرين اليهود في الدعوة الى العمل من اجل " العودة " الى فلسطين واستعمارها، وكان اولهم الحاخام هيرش كاليشر (١٧٩٥-١٨٧٤) وذلك في كتابه " البحث عن صهيون " الصادر عام ١٨٦١. وكانت نتيجة جهود كاليشر ان تاسست اول جمعية صهيونية في المانيا. وفي العام التالي قام موسس هس (١٨١٢-١٨٧٥)

بنشر كتابه " روما والقدس " الذي نادى فيه باقامة دولة يهودية في فلسطين املا ان تلقى فكرته الدعم من فرنسا نظراً الى انها كانت تعمل حينذاك على شق قناة السويس. اما معاصرهما دافيد غوردن (١٨٢٦-١٨٨٦) فقد نادى بما اسماه " دين العمل " مشدداً على اهمية استعمار اليهود لفلسطين والعمل اليدوي لتحويل اليهود الى امة كغيرها من الامم(٣٠).

ولكن الصهيونية بقيت مع ذلك فكرة معزولة عن جماهير اليهود حتى عام ١٨٨١ عندما اضطرت اعداد ضخمة منهم الى النزوح عن روسيا على اثر المجازر التي وقعت ضدهم اغتيال القيصر الروسي الكسندر الثاني. وكان من نتائج المجازر انهيار الحركة الاندماجية اليهودية وقيام جمعيات صهيونية محلية مكانها باسم " حب صهيون " ولاسيما في مراكز التجمع السكاني اليهودي. وقد طرحت هذه الجمعيات مسالة استيطان اليهود لفلسطين كاحتمال عملي كما درست احياء اللغة العبرية لتصبح لغة غالبية اليهود عوضاً عن اليديشية(٣١).

واقتصرت محاولات ايجاد مجتمعات ومستعمرات زراعية يهودية في فلسطين قبل عام ١٨٨٢ على مؤسسات ذات طابع خيري برعاية الماليين اليهود مثل " المؤسسة العبرية اللندنية لاستعمار الارض المقدسة"((٣٢)) التي تاسست عام ١٨٦١، و " التحالف الاسرائيلي العالمي " الذي كان تاسيسه في السنة ذاتها في فرنسا بقصد حماية اليهود وتحسين احوالهم في العالم بشكل عام وفي الاراضي الاسلامية بشكل خاص. وفي عام ١٨٧٠ اقام " التحالف الاسرائيلي العالمي " مدرسة " مكيفه يسرائل " الزراعية قرب يافا بهدف تدريب اليهود على الاعمال الزراعية وتوطينهم في فلسطين على نطاق واسع(٣٣).

ادت المجازر الروسية من جهة وقيام جمعيات " حب صهيون " من جهة اخرى الى قيام بضع مئات من الشباب الصهيوني بحركة " البيلو" التي عملت على تهجير اليهود الى فلسطين بقصد الاستيطان. وقد بعثت هذه الحركة بمندوبين عنها الى استانبول لشراء الاراضي الفلسطينية ولكن دون جدوى كما حاول كل من العميلين البريطانيين ادوارد كازاليت ولورنس اوليفانث التوسط لدى السلطات العثمانية على تسهيل توطين اليهود في فلسطين ولكنهما لم يحرزا نجاحاً يذكر. ومع ذلك فقد تمكنت حركة " البيلو " عام ١٨٨٢ من ايصال ٢٠ مستعمراً يهودياً شكلوا طليعة الهجرة الصهيونية الاولى. وحول هؤلاء عدة قرى عربية صغيرة نائية الى مستعمرات صهيونية مثل عيون قاره التي سموها أي " الاول في صهيون " وملبس أي " باب

الامل " وزمارين. والجدير بالذكر ام هذه المستعمرات الاولى شكلت المراكز الرئيسة للاستعمار الزراعي الصهيوني في المراحل اللاحقة.

وسرعان ما واجه " رواد " الاستعمار الصهيوني في فلسطين مشاكل شائكة لم تكن في حسبانهم. فقد كانو يجهلون تماماً اساليب الزراعة بالاضافة الى عدم تعودهم على الطقس وصعوبة المعيشة في مناطق انتشرت فيها امراض الملاريا وقلت فيها مياه الشرب وغير ذلك من العوامل التي جعلتهم في حالة من الياس الشديد.

ولولا تدخل المالي اليهودي الكبير البارون ادموند دي روتشيلد (١٨٤٥- ١٩٣٤) لانقاذهم لكان مصير " الرواد " والمستعمرات الاولى الفشل التام والانهيار الكامل((٣٤)). وبفضل اموال روتشيلد تمكن اليهود من شراء عاقر وقطرة. ولكن جمعيات " حب صهيون " لم تكتف بمعونة روتشيلد فعقدت مؤتمراً برئاسة بينسكر في عام ١٨٨٤ لمناسبة الذكرى المئوية لميلاد الثري اليهودي البريطاني موسس مونتفيوري الذي زار فلسطين مراراً لنشر الزراعة بين اليهود ودعم المستعمرات اليهودية في فلسطين. وبعد ثلاث سنوات عقدت جمعيات حب صهيون اجتماعاً عاماً اخر تلاه بعد عامين اجتماع ثالث دون ان تتمكن هذه الحركة من احراز أي تقدم نوعي في تنظيم ودعم النشاط الاستعماري الصهيوني رغم اتساع الحركة وشمولها العديد من مدن اوروبا واميركا.

خامسا: الصهيونية الروحية.

بينما كان زعماء جمعيات حب صهيون، اعضاء " لجنة اوديسا " يعملون ويكدون في سبيل دعم المستعمرات الصهيونية في فلسطين، اخذ احد اعضاء هذه اللجنة واسمه اشر غينزبرغ (١٨٥٦-١٩٢٧) يعيد النظر في فكرة اقامة المستعمرات وخطة "حب صهيون" من اساسها.[٣٥] انطلق "احد هاعام" من نقد مفهوم "حب صهيون" لاسلوب ولادة القومية اليهودية من جديد منكراً امكانية قدرة فلسطين على استيعاب هجرة يهودية جماعية واسعة النطاق ومشككاً بقدرة هؤلاء على ان يتحولوا الى مزارعين حقيقيين كما نفى ان يكون لهجرة اليهود باعداد قليلة الى فلسطين أي تاثير حاسم في وضع اليهود السياسي في العالم. لم تكن المشكلة الاساسية بالنسبة لاحد هاعام تحسين اوضاع اليهود او حمايتهم بقدر ماكانت الحفاظ على القيم الروحية للهيودية وتطويرها. اما طريق وقف الانحلال الروحي اليهودي فكان في نظره اقامة مركز

روحي لليهودية، لا لليهود، في فلسطين يعيد لليهود حيويتهم ووحدتهم ويؤدي في النتيجة الى تحقيق الحلم القومي اليهودي.

شكل انصار احد هاعام جمعية " بني موسى " وتتلمذ على يده عدد من المثقفين اليهود البارزين مثل الدكتور ماغنيس الذي تراس فيما بعد الجامعة العبرية بالقدس. الا ان الصهيونية الروحية (او الثقافية) ظلت على هامش الحركة الصهيونية دون ان يكون لها أي تاثير جوهري في السياسة الصهيونية الاساسية.

سادسا: الصهيونية في مرحلة التنظيم الشامل (ظهور هرتزل).

بقيت الحركة الصهيونية مبعثرة تفتقر الى التنظيم الشامل والخطة الواضحة والجهاز القادر على تنفيذ الخطة في حال وجودها الى ان تمكن تيودور هرتزل من عقد المؤتمر الصهيوني الاول في مدينة بازل السويسرية في ٢٧ اب ١٨٩٧.

ولد هرتزل لابوين يهوديين موسرين في مدينة بودابست عام ١٨٦٠، ونشأ في فيينا حيث درس القانون في جامعاتها. وبعد سنة من تخرجه احترف الكتابة الادبية وعمل كمراسل لاحدى الصحف النمساوية الهامة. كان هرتزل ضعيف الصلة بالدين اليهودي والكتابات الصهيونية على حد سواء. ويبدو ان موجة العداء للسامية في اوروبا الغربية على اثر تدفق المهاجرين اليهود من اوروبا الشرقية في العقدين الاخيرين من القرن التاسع عشر، كانت العامل الرئيسي وراء تبنيه الجارف للفكرة الصهيونية. وقد عرض هرتزل افكاره حول المسالة اليهودية وشرح حلوله لها في كتاب وضعه عام ١٨٩٥ بعنوان: " الدولة اليهودية".

والواقع ان اراء هرتزل في جذور المسالة اليهودية وحلوله المقترحة لها، تتجاوز ماجاء في كتابي موسس هس وليون بينكر السالف ذكرهما. لقد قرر هرتز لان المسالة اليهودية ليست مسالة اجتماعية او دينية بل هي " مسالة قومية لا يمكن حلها الا عن طريق تحويلها الى قضية سياسية عالمية تتم تسويتها على يد الدول الكبرى مجتمعة. واضاف هرتز لان ذلك يعني بالتحديد ان يمنح اليهود السيادة فوق رقعة من الارض (لم يكن هناك اصرار على فلسطين كاحتمال وحيد) كافية لتلبية متطلبات اقامة دولة قومية على ان يترك الباقي لليهود انفسهم. ولكي يحقق اليهود هدفهم اقترح هرتزل انشاء "جمعية يهودية" تقوم بتنظيم اليهود وتعبئتهم وشركة

يهودية على غرار الشركات الاستعمارية الكبرى في المستعمرات الاوروبية في اسيا وافريقيا تقوم بتوطين المستعمرين واستغلال موارد البلاد والسيطرة عليها.

اثار نشر كتاب هرتزل في عام ١٨٩٦ مناقشات حادة ولاقى من المعارضة اكثر مما لاقى من التاييد. لقد وجد الاندماجيون اليهود في اوروبا واميركا في صهيونية هرتزل مصدراً للتشكيك في ولائهم للمجتمعات والدول التي يعيشون فيها، كما راى مجموعة من رجال الدين اليهودي في افكاره خروجاً على تعاليم اليهودية ورسالتها في العالم في حين عارض التقدميون والاشتراكيون فكرة الدولة اليهودية على اساس انها رجعة الى الوراء، الى فكرة الدولة الشيوقراطية (الدينية) المبنية على اساس عنصري لا يستند الى دليل علمي، علاوة على انها هروب من محاربة الاضطهاد والظلم في المجتمعات التي يعيش فيها اليهود.

سابعا: المؤتمر الصهيوني الاول.

وعلى الرغم من العديد من العقبات فقد تمكن هرتزل من عقد المؤتمر الصهيوني الاول بحضور ٢٠٤ مندوبين يمثلون جمعيات صهيونية متناثرة في ارجاء مختلفة. وتمخض هذا المؤتمر عن تحديد اهداف الحركة الصهيونية، فيما عرف ببرنامج بازل، وانشاء الادارة التنظيمية لتنفيذ هذا البرنامج: المنظمة الصهيونية العالمية.

حدد المؤتمر الصهيوني الاول هدف الصهيونية بما يلي:

" ان غاية الصهيونية هي خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين [٣٦] يضمنه القانون العام". اما وسائل تحقيق هذا الهدف فكانت:

١- العمل على استعمار فلسطين بواسطة العمال الزراعيين والصناعيين اليهود وفق اسس مناسبة.

٢- تنظيم اليهودية العالمية وربطها بواسطة منظمات محلية ودولية تتلاءم مع القوانين المتبعة في كل بلد.

٣- تقوية وتغذية الشعور والوعي القومي اليهودي.

٤- اتخاذ الخطوات التمهيدية للحصول على الموافقة الحكومية الضرورية لتحقيق غاية الصهيونية.

يتضح من برنامج بازل ان الصهيونية حركة عنصرية ذات طبيعة استعمارية تهدف الى اقتلاع جذور يهود العالم من مجتمعاتهم التي يقيمون فيها عبر هجرات متواصلة لخلق دولة قومية يهودية في فلسطين. ومعنى ذلك ان الصهيونية قررت عامدة تحويل المضطهدين في المجتمعات الغربية الى مهاجرين فمستوطنين للسكان المحليين ومحتلين لاراضيهم فمهجرين لهم. اما الاستراتيجية الاساسية لهذا المخطط فتعتمد على رعاية الدول الاستعمارية التي كانت حينذاك تفرض " القانون الدولي العام" وتستطيع بالتالي ان تنتزع من الحكومة العثمانية " الموافقة الحكومية الضرورية لتحقيق غاية الصهيونية " وتدلنا جميع جهود هرتزل التي سبقت المؤتمر الاول والجهود والاتصالات الواسعة التي تلته على ان الصهيونية كانت تعتبر نفسها حركة قومية استعمارية حليفة للدول الامبريالية وانها بدون هذا الحلف لايمكن ان تحقق غايتها. ومن هنا كثر "استعمار" و"مستوطنين" في الادب السياسي الصهيوني حينذاك. ومن هنا ايضاً كان اعجاب هرتزل الشديد بالشخصيات الاستعمارية الغربية وترامية على ابوابهم.

ثامنا: الصهيونية والاستعمار.

ومع ذلك فقد تميزت الحركة الصهيونية عن غيرها من الحركات الاستعمارية الاوروبية بانها لم تكن مجرد اداة امتداد للدولة الامبريالية الام بل كانت حركة استعمار في حد ذاتها موالية للامبريالية العالمية ودولها المختلفة دون تحديد دائم ومستمر. كذلك فان الاستعمار عند الصهيونية كان اداة لخلق القومية والدولة القومية وليس لقومية قائمة ومتحققة بالفعل. وفي الوقت الذي كان فيه المستوطنون الاوروبيون يتعايشون مع السكان الاصليين كان هدف الصهيونية اجلاء عرب فلسطين لاقامة دولة يهودية قومية صرف. وقد تجلى الطابع الاستعماري للمؤسسات الصهيونية في اسمائها ومهماتها كما سنرى فيما بعد، كما ان اعتبار التاريخ اليهودي القديم بمثابة سند ملكية اليهود لفلسطين طبع الحركة الصهيونية بالضرورة بالطابع التوسعي القسري[٣٧].

وفي عقاب مؤتمر بازل كتب هرتزل في مذكراته ما يلي:

" لو اردت ان اختصر مؤتمر بازل في كلمة واحدة- وهذا مالن افعله صراحة- لقلت: في بازل اسست الدولة الصهيونية. ولو اعلنت ذلك اليوم لقابلني العالم بالسخرية والتهكم ولكن

بعد خمس سنوات على وجه الاحتمال، وبعد خمسين سنة على وجه التاكيد سيرى هذه الدولة جميع الناس"[٣٨].

الناحية التنظيمية:

بعد ان نجح هرتزل في تحديد هدف الصهيونية وخلق الاطار التنظيمي لها انطلق يعمل من اجل تحضير ادوات الاستعمار وربطها بالجهاز الاداري الصهيوني الذي كان يقوم باعمال التخطيط والاشراف على عملية الاستعمار في فلسطين بالاضافة الى تولي مهام الجهود الدبلوماسية ورعاية العلاقات بالدول الكبرى. وهكذا اقر المؤتمر الصهيوني الثاني (١٨٩٨) تشكيل "لجنة الاستعمار" وانشاء "المصرف الاستعماري اليهودي" ليكون الاداة المالية للحركة الصهيونية "وللشركة اليهودية" المنشودة. وقد جعل هو تزل مقر المصرف والمؤسسات الصهيونية الاخرى في انكلترا لانه راى ان ظروفها العامة ومخططاتها الاستعمارية ومواقف ساستها سوف تحتم تبنيها الكامل للحركة الصهيونية[٣٩].

عارض هرتزل بشدة اية محاولة للتسلل التدريجي الى فلسطين اذ ان خطته كانت تقضي بالحصول على ميثاق من السلطان العثماني عبد الحميد يمنح اليهود بموجبه الحق في اقامة مستوطن يهودي في فلسطين يتمتع بحكم ذاتي. وفي سبيل الحصول على هذا الميثاق حاول هرتزل الحصول على رعاية القيصر الالماني مقابل دعم مصالح وسياسة المانيا في الشرق الادنى، كما حاول عن طريق رشوة المسؤولين العثمانيين وتقديم الوعود بشان قروض يهودية عاجلة وتنظيم المالية العثمانية المتدهورة، شراء موافقة السلطان على مشاريعه الصهيونية في فلسطين. ولكن جهوده جميعها باءت بالفشل[٤٠].

ادى فشل سياسة هرتزل الرامية الى الحصول على ميثاق دولي يمنح اليهود حق استعمار فلسطين عن طريق المفاوضات الدبلوماسية الى قيام تكتلات داخل المؤتمرات الصهيونية تنادي بتغيير بعض نواحي الاستراتيجية الصهيونية. وظهر في المؤتمر الخامس (١٩٠١) تكتل غالبيته من الصهيونيين الروس (الجناح الصهيوني الديمقراطي) من انصار احد هاعام ينادي بتخصيص مجهودات اكبر لاحياء الثقافة القومية اليهودية، كما طالب اخرون ببذل الجهود العملية لاستعمار فلسطين. وفي سبيل تنفيذ هذا الهدف اقدم المؤتمر على انشاء "الصندوق القومي اليهودي" لشراء الاراضي وتسجيلها كملكية ابدية للشعب اليهودي. وقام

الصهيونيون في اعقاب صدور وعد بلفور بانشاء الصندوق التاسيسي لتمويل عمليات الهجرة والاستيطان عن طريق جمع التبرعات من الجاليات اليهودية تلك التبرعات التي كانت اقرب الى الضرائب منها الى أي شيء اخر.

تاسعا: تاييد بريطانيا للصهيونية.

وعلى الرغم من فشل الجهود التي بذلها هرتزل لدى القيصر الالماني والسلطان العثماني فقد تابع جهوده الدبلوماسية لدى الدول الاستعمارية فوجه انظاره نحو انكلتر حيث كانت الحركة الصهيونية تلقى تشجيعاً من قبل كبار السياسيين الاستعماريين. ام اسباب هذا التعاطف مع الحركة الصهيونية فعديدة اهمها كما راينا الاعتبارات الاستعمارية الاستراتيجية (حماية السويس وطريق الهند البري والحيلولة دون قيام دولة عربية قوية موحدة) والتخوف من تغلغل المانيا في المنطقة بموجب سياسة التوسعية والتخوف من اطماع فرنسا في المنطقة اضف الى ذلك اعتبارات اخرى مشتركة مع الدول الغربية الاخرى، وهي وان كانت متناقصة فقد غذت الى حد ما الميل نحو تبني الحركة الصهيونية. فهناك العوامل الدينية والعاطفية الناتجة من تاثر الغرب المسيحي بالعهد القديم في التوراة والشعور بالذنب ازاء اضطهاد اليهود على ايدي اللاساميين ناهيك بالرغبة في تحويل الهجرة اليهودية من اوروبا الشرقية الى خارج اوروبا[٤١].

وليس ادل على ما نقول من اضطرار الحكومة البريطانية عام ١٩٠٢ الى تشكيل لجنة ملكية للتحقيق في الهجرة الى انكلترا اثر ازدياد هجرة اليهود من روسيا وبولونيا الى الاحياء الشرقية من لندن والتخوف من ان يؤدي ازدياد المعارضة لهذه الهجرة الى موجة لاسامية قوية. وكانت شهادة هرتزل امام هذه اللجنة دليلاً على وحدة مواقع وفرضيات اللاسامية والصهيونية اذ اعلن هرتزل امام هذه اللجنة ان اليهود يحملون اللاسامية معهم اينما ذهبوا وان الحل الوحيد لهذه المشكلة هو الصهيونية التي تهدف الى اقامة وطن قومي خاص باليهود خارج اوروبا[٤٢]. واقترح هرتزل على بعض الساسة الانكليز اقامة مستعمرة يهودية خاضعة للتاج البريطاني في شبه جزيرة سيناء او في قبرص كقاعدة انطلاق لاحتلال فلسطين متى سنحت الفرصة.

وفي تشرين الاول تمكن هرتزل من مقابلة جوزف تشمبرلين احد عتاة الاستعماريين البريطانيين والمعروف بمؤازرته للحركة الصهيونية دون تحفظ. وفي هذه المقابلة ابدى تشمبر لن موافقته على مشروع هرتزل لاستعمار قبرص وسيناء في ظل العلم البريطاني شريطة ان

يحظى مشروع استعمار سيناء بموافقة اللورد كرومر المعتمد البريطاني في مصر. ولما كان من راي كرومر ان مشروع استعمار سيناء غير عملي عرض تشمبرلين على هرتزل فكرة استعمار اوغنده ووجد الاقتراح عند الاخير صدى، اذ كان على هرتز لان يواجه المؤتمر الصهيوني بمكاسب مادية تقرب يوم استعمار فلسطين. والواقع ان عرض المشروع على المؤتمر الصهيوني السادس (١٩٠٣) قوبل باعنف الانتقادات الى درجة ان احدى عضوات المؤتمر اتهمت هرتزل بالخيانة لتخليه عن فلسطين(٤٣).

ولكن هرتزل مات عام ١٩٠٤ قبل ان تثمر جهوده. وبموته مات مشروع استعمار شرق افريقيا اذ اتخذ المؤتمر الصهيوني السابع المنعقد في تموز ١٩٠٥ قراراً بالتخلي عن الجهود الاستعمارية خارج الاراضي الفلسطينية بعد ان كاد مشروع اوغنده يحدث انشقاقاً خطيراً في الحركة الصهيونية(٤٤).

وعلى اثر وفاة هرتزل اتجهت المنظمة الصهيونية نحو تبني وجهة نظر " الصهيونيين العمليين" بشان ضرورة المضي في استقدام المهاجرين الى فلسطين والاستيلاء على الاراضي وانشاء المزارع واقامة المصانع وذلك بشكل تدريجي منظم مما عنى التخلي عن " الصهيونية السياسية " المبنية على ضرورة الحصول على ميثاق دولي قبل المباشرة في اقامة الوطن القومي اليهودي.

وكان من جراء الاتجاهات الجديدة تنظيم " الهجرة الثانية " ١٩٠٥-١٩٠٧ والتي كان من ابرز قادتها دافيد بن غوريون واسحق بن زفي اللذان فرضا مع شان تلك الهجرة من الصهيونيين المتعصبين على المزارع اليهودية في فلسطين مبدأ مقاطعة اليد العاملة العربية وطردوا حراس المزارع اليهودية في فلسطين من الشركس والبدو ليقيموا منظمة "هاشومر" لتصبح فيما بعد الذراع المسلح (الهاغانا) للمنظمة الصهيونية. وساهم مبدأ مقاطعة اليد العاملة العربية والجو المعادي للغزو الصهيوني في فلسطين في تقوقع الصهاينة الغزاة ضمن مزارع جماعية عرفت بالكيبوتز(٤٥)، كما قامت المنظمة الصهيونية بافتتاح فروع للشركة الانكليزية الفسطينية التي اصبحت فيما بعد بنك انكلو- فلسطين، في مدن فلسطين الرئيسية وفي بيروت واستانبول بالاضافة الى اقامة المؤسسات التعليمية التي اعتمدت العبرية كلغة حية اساسية لاول مرة. اما التطوير المنظم لعملية الاستيلاء على الاراضي وتوطين اليهود في مستعمرات زراعية

فكان من مسؤولية مكتب فلسطين التابع للمنظمة الصهيونية العالمية (١٩٠٨) برئاسة ارثر روبين. وقد قام مكتب فلسطين بمساعدة الصندوق القومي اليهودي ببناء ضاحية يهودية لمدينة يافا العربية سميت تل ابيب، كما قام بتاسيس " شركة تطوير اراضي فلسطين" لاستملاك الاراضي العربية وادارة مراكز لتدريب المهاجرين اليهود على الاعمال الزراعية والصناعية. وعلى الرغم من ارتفاع عدد اليهود المقيمين في فلسطين من ٥٠،٠٠٠ عام ١٨٩٧ الى ٨٥،٠٠٠ عام ١٩١٤ بينهم ١٢ الف مهاجر يقطنون في المستعمرات الزراعية فان تقدم الغزو الصهيوني كان يواجه معارضة ومقاومة عربية متعاظمة بفضل الوعي الشعبي للخطر الصهيوني الذي كاد ان يؤدي الى انتفاضة شعبية من اجل الاستقلال والقضاء على الصهيونية.

الخاتمة

١- تعد فلسطين قلب الوطن العربي وواسطة عقده وقبلة انظاره ومهد الديانات التوحيدية الكبرى في التاريخ وملتقى الحضارات. وهي بلاد خيرة جميلة ومن اهم بقاع الارض قاطبة من النواحي الاستراتيجية والسياحية والدينية.

٢- وتعد القدس من اقدس بقاع الارض عند المسلمين فإليها اسرى بالرسول العربي من المسجد الحرام (مكة) الى المسجد الاقصى (القدس) الذي بورك حوله ثم عرج منه الى السماوات العلى. وفي ليلة الاسراء فرضت على النبي محمد الصلوات الخمس اليومية اول اركان الاسلام. وشيد الخليفة عمر مسجداً بالقرب من الصخرة المقدسة التي صعد منها النبي ليلة الاسراء مالبث ان تطور ايام الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان (٦٩٠م) الى اية من ايات الفن المعماري واصبح محجة للمسلمين.

٣- في فلسطين عرف العرب قمة التحدي، وعلى ارض فلسطين سوف يتقرر المستقبل العربي، وفي فلسطين يواجه العرب قضيتهم المصيرية الكبرى، ومع ذلك فلا مفر من الإقرار بأننا كشعب وكأمة لانزال بعيدين عن تحسس خطورة هذه القضية وجوانبها المختلفة، والعيش مع هذه القضية وجوانبها المختلفة الى المدى الواجب.

٤- فاستلهام الماضي، اذا ما تم على صورته الصحيحة، يشكل حافزاً من حوافز النضال وعاملا من عوامل الثبات والتقدم، فمعرفة التاريخ شرط اساسي من شروط معرفة النفس، ضرورة لابد منها لمجابهة التحديات والتغلب عليها، كذلك فإن معرفة الشعوب الثائرة لماضيها ووعيها على حاضرها يساعدها على تخطي ذاتها واحراز النصر في معاركها التاريخية.

٥- الصهيونية في اساسها حركة لادينية، فهي حركة سياسية استعمارية قائمة على اسس عنصرية رجعية متطرفة قامت كرد سياسي على نزعة معاداة السامية، وقد تلخص الرد على قيام دولة صهيونية، واعطاء اليهودية صفة القومية، فهي حركة سياسية غير دينية نشأت في شرق اوربا، وحظيت بتأييد يهود العالم، عمدت الى استخدام فكرة العودة.. ومن هنا خلط الناس بين الصهيونية واليهودية

هوامش البحث ومصادره:

(١) بكسر الفاء وفتح اللام وسكون السين وطاء مهملة وآخره نون

(٢) عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٣، ص١١-١٢.

(٣) المصدر نفسه، تاريخ فلسطين الحديث، ص١٣. واسماعيل عليه السلام هو من ربط بين بلاده فلسطين وبين النبي محمد صلى الله عليه وسلم والمسلمين بصلة خالدة إذ قام مع ابيه ببناء الكعبة المشرفة.

(٤) الكنعانيون والفينيقيون شعبا واحدا نسبا ولغة ودينا وحضارة انقسم الى قسمين سكن الاول فلسطين والثاني الساحل الشامي من مصب نهر العاصي الى جنوبي الكرمل. ينظر:

أمين الريحاني: قلب لبنان ، بيروت – ١٩٥٨، ص٤٣٣ ؛ مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، بيروت – ١٩٦٥، القسم الاول – الجزء الاول ، ص٣٨٧ – ٣٩٠.

(٥) تاريخ فلسطين الحديث، ص١٤، مصدر سابق.

(٦) تاريخ فلسطين الحديث، ص١٤، مصدر سابق.

(٧) عارف العارف: المفصل في تاريخ القدس، مطبعة المعارف – القدس، ١٩٦١، ص٩١.

(٨) عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، ص٢٣.

(٩) عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، ص١٥.

(١٠) عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، ص١٥-١٦.

(١١) عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، ص١٦.

(١٢) ارنولد توينبي: دراسة في التاريخ، تلخيص: د. س. سومر فيل، مطبعة جامعة اكسفورد، ١٩٦٠، ص٤٨٥.

(١٣) كان الانباط يتفاهمون بلغة عربية الا انهم كانوا يكتبون بالآرامية وتعد حضارتهم عربية في اساسها.

(١٤) عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، ص١٧.

(١٥) يقول توينبي: ان التسامح الروماني الدائم ازاء الديانة اليهودية كان بمثابة استثناء ملحوظ لموقفهم ازاء الديانات المغايرة لديانتهم. ينظر: دراسة في التاريخ، ص٥٧٦، المصدر السابق.

(١٦) ينظر: ابراهام ليون: المسألة اليهودية، بيروت، ١٩٦٩، ص٢٢ – ٢٣ .

(١٧) عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، ص١٨.

(١٨) ه.ج. ولز: موجز التاريخ، بيرون – لبنان، ص٧٢.

(١٩) ابراهام ليون، المسألة اليهودية، ١٧٩ ؛ اسحق بن زفي: the exiled and the redeeed، ترجمة: اسحق عبادي، فيلادلفيا، ص١٩٥٧.

(٢٠) هاري شابيرو: الشعب اليهودي، تاريخ بيولوجي، بحث صادر عن منظم الاونيسكو – منظمة الامم المتحدة، ١٩٦٠. يفند فيه المؤلف المزاعم القائلة بان اليهود يشكلون عنصرا من الناحية البايولوجية.

(٢١) ينظر أسماء القبائل العربية التي استقرت في فلسطين ومشارفها قبل الاسلام في كتاب: بلادنا فلسطين، ص٧٠٧ – ٧١٥.

(٢٢) ينظر: ارثر رؤبين: the jewish fate and future، لندن – ١٩٤٠

(٢٣) ينظر: ابراهام ليون : المسألة اليهودية، ص٣٢.

(٢٤) تاريخ فلسطين الحديث: ص٢٤ – ٢٥.

(٢٥) مقالة حوراني " الاصلاح العثماني وسياسة الوجهاء" في كتاب Beginnings or odernisation in the Middle East: The Nineteenth Century تحرير: وليم بولك وريتشارد تشيمبرز، شيكاغو، ١٩٦٨، ص٤١-٦٨.

(٢٦) آلان تايلور: مدخل الى اسرائيل، تعريب: شكري محمود نديم، دار الحياة –بيروت، ١٩٦٩

(٢٧) فلسطين القصة الكاملة للارض العربية السليبة، اصدار دار الامل – بغداد، ١٩٦٤، ط١، ص٣-٤.

(٢٨) فلسطين القصة الكاملة، ص٤-٥.

(٢٩) المصدر نفسه، ص٥

(٣٠) ويعد كتاب ليون بينسكر (١٨٢١-١٨٩١) " التحرير الذاتي " الصادر عام ١٨٨٢ والذي حلل الوضع اليهودي العام وخلص الى المناداة بوطن قومي يهودي في فلسطين او اميركا اقوى الكتابات الصهيونية الاولى واعمقها اثراً.

(٣١) هي لغة اليهود أواسط اوربا وهي اقرب الى اللغة الالمانية وان احتوت على العديد من العبارات العبرية.

(٣٢) ناحوم سوكولف، تاريخ الصهيونيةة ١٦٠٠-١٩١٨، لندن، ١٩١٩، ج٢، ص٢٥٦.

(٣٣) ينظر كتاب: وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية (١٩١٧ – ١٩٣٩)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية –بيروت ، ١٩٦٨.

(٣٤) كوهين: A Short History of Zionism، لندن، ١٩٥١ .

(٣٥) وقد عبر غينزبرغ عن افكاره بحماسة وبلاغة فائقتين في مقال نشره عام ١٨٨٩ بعنوان " ليس هذا هو الطريق " ذيله بامضاء ومعناه " واحد من الناس" ومنذ ذلك الحين عرف بذلك الاسم.

(٣٦) أصر العديد من اعضاء المؤتمر الصهيوني الاول على اختيار فلسطين كمكان لاقامة الدولة الصهيونية على اساس انها المكان الوحيد القادر على اجتذاب الجماهير اليهودية.

(٣٧) عبد الوهاب الكيالي، المطامع الصهيونية التوسعية، بيروت، ١٩٦٦.

(٣٨) مذكرات تيودور هرتزل الكاملة، نيويورك، ١٩٦٠، ج٢، ص٢٤.

(٣٩) اسرائيل كوهين، الحركة الصهيونية، لندن، ١٩٤٥، ص٧٥.

(٤٠) مذكرات هرتزل الكاملة، ج٤، ص١٣٠٢.

(٤١) اجتمعت هذه العوامل في مواقف بلفور لتحوله الى اكبر نصير للحركة الصهيونية.

(٤٢) ان المشروع احدث انشقاقاً قاده اسرائيل زانغويل الذي قبل مشروع اوغنده فاسس " المنظمة الاقليمية الصهيونية".

(٤٣) ينظر: فيليب اورنشتين: خطابات السادة البريطانيين حول اليهودية والصهيونية، برلين -١٩٣٦.

(٤٤) الواقع ان المشروع احدث انشقاقا قاده اسرائيل زانغويل الذي قبل مشروع اوغندة ، فأسس المنظمة الاقليمية الصهيونية التي نادت بضرورة قبول فكرة انشاء مستوطن يهودي مستقل في أي مكان في العالم.

(٤٥) لدراسة فكرة الكيبوتز وتحليل دورها الهام في ارساء دعائم الاحتلال الصهيوني لفلسطين. ينظر: عبد الوهاب الكيالي، الكيبوتز او المزارع الجماعية في اسرائيل، بيروت، ١٩٦٦.

المصادر والمراجع

١- عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٣.

٢- أمين الريحاني: قلب لبنان ، بيروت – ١٩٥٨.

٣- مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، بيروت – ١٩٦٥

٤- عارف العارف: المفصل في تاريخ القدس، مطبعة المعارف – القدس، ١٩٦١.

٥- ارنولد توينبي: دراسة في التاريخ، تلخيص: د. س. سومر فيل، مطبعة جامعة اكسفورد، ١٩٦٠.

٦- ابراهام ليون: المسألة اليهودية، بيروت، ١٩٦٩ .

٧- ه.ج. ولز: موجز التاريخ، بيرون – لبنان، ص٧٢.

٨- اسحق بن زفي: the exiled and the redeeed، ترجمة: اسحق عبادي، فيلادلفيا، ص١٩٥٧.

٩- هاري شابيرو: الشعب اليهودي، تاريخ بيولوجي، بحث صادر عن منظم الاونيسكو – منظمة الامم المتحدة، ١٩٦٠.

١٠- ارثر رؤبين: the jewish fate and future، لندن – ١٩٤٠.

١١- مقالة حوراني " الاصلاح العثماني وسياسة الوجهاء" في كتاب Beginnings or odernisation in the Middle East: The Nineteenth Century تحرير: وليم بولك وريتشارد تشيمبرز، شيكاغو، ١٩٦٨، ص٤١-٦٨.

١٢- ليون بينسكر (١٨٢١-١٨٩١) " التحرير الذاتي " الصادر عام ١٨٨٢.

١٣- ناحوم سوكولف، تاريخ الصهيونيةة ١٦٠٠-١٩١٨، لندن، ١٩١٩.

١٤- وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية (١٩١٧ – ١٩٣٩)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية –بيروت ، ١٩٦٨.

١٥- كوهين: A Short History of Zionism، لندن، ١٩٥١ .

١٦- عبد الوهاب الكيالي، المطامع الصهيونية التوسعية، بيروت، ١٩٦٦.

١٧- مذكرات تيودور هرتزل الكاملة، نيويورك، ١٩٦٠.

١٨- اسرائيل كوهين، الحركة الصهيونية، لندن، ١٩٤٥.

١٩-فيليب ارونشتين: خطابات السادة البريطانيين حول اليهودية والصهيونية، برلين -١٩٣٦.

٢٠-عبد الوهاب الكيالي، الكيبوتز او المزارع الجماعية في اسرائيل، بيروت، ١٩٦٦.

٢١-عدنان محمد سالم: القدس ٢٠٤٨، دار الفكر المعاصر - دمشق، ٢٠١١.

٢٢-فلسطين القصة الكاملة للارض العربية السليبة، اصدار دار الامل، بغداد/ط١ - ١٩٦٤.

٢٣-د. صلاح عبد الفتاح الخالدي: جذور الارهاب اليهودي في اسفار العهد القديم، دار العلوم - الاردن، ط١ ٢٠٠٤.

٢٤-د. عبد الوهاب محمد المسيري: الايديولوجية الصهيونية دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة، الكويت - ١٩٨٢.

٢٥-آلان تايلور: مدخل الى اسرائيل، تعريب: شكري محمود نديم، دار الحياة -بيروت، ١٩٦٩